



ياسر الزعاترة يكتب:

عن نتتياهو ومحاكمته وفساده والدلالات

23:00 الساعة 12-08-2017

يبدو أن الجولة الجديدة من اتهامات الفساد الموجهة لنتتياهو، لن تكون كسابقاتها، وإن كان من الصعب الجزم بالنهاية التي ستفضي إليها، وتبعاتها على الوضع السياسي من حيث انتخابات مبكرة، أو حكومة جديدة، فضلا عن مصيره الشخصي؛ هو الذي لا يسلم بسهولة.

وصول رئيس وزراء إسرائيلي إلى السجن بتهم أخلاقية، فضلا عن هم دون ذلك في المناصب السياسية والعسكرية، ليست جديدة في الكيان (حاليا يحاكم وزير الداخلية أرييه درعي أيضا)، ورئيس الوزراء الإسرائيلي النسبق (إيهود أولمرت) لا يزال في السجن منذ 3 سنوات.

مصير نتتياهو لا يعيننا في شيء، فمن سيأتي بعده سيكون أكثر يهنية وتطرفا في التعاطي مع الفلسطينيين، ولسنا من الذين يعولون على اعتدال في المجتمع الصهيوني، وقد جربنا من يسهون معتدلين في كاهب ديفيد عام 2000، وجربناهم مع أولمرت وليفني في مفاوضات كشفت واثانها، ولم نجد ما يهكن أن يقبل به أي زعيم فلسطيني، ولا حتى عربي، فضلا عن الجماهير التي ترفض الاعتراف بأي شبر من فلسطين للغة.

ثمة وجه لا شك أنه يرد على ذهن كل مواطن عربي يسمع أخبار التحقيقات والمحاكمات في الكيان، وهو أننا إزاء قوم استجابوا لتحذير نبينا عليه الصلاة والسلام من مغبة أن يسرق الشريف فيترك، فيها يقام الحد على الضعيف إذا فعل ذلك، بينما لم نستجب نحن أهته عليه السلام.

القضية التي واجهها أولمرت مثلا وحكم عليه بسببها بالسجن لمدة ست سنوات، ليست سرقة بالمفهوم المتعارف عليه في عالمنا العربي، بل إنها تحدث بشكل يومي من مستويات متعددة من المسؤولين، بل أكبر منها بكثير، من دون أن يقف أحد منهم أمام القضاء، فضلا عن أن يحكم عليه بالسجن لهذه الهدة الطويلة، وقد ينطبق ذلك على قضية نتتياهو أيضا.

هناك حالات في بعض الدول العربية تهت خلالها محاكمة مسؤولين فاسدين، ولكنها لم تكن سوى حالات نادرة في منظومة عربية يعرف الجميع ما هي عليه، من دون الحاجة إلى تذكيره.

ثروات بالمليارات سرقت وتسرق أمام أعين الناس من دون أن يجرؤ أحد على المساءلة، ومن دون أن يحكم على أحدهم بالسجن يوما، بل من دون أن يغادر المتهمون المواقع التي يتصدرونها.

هذا هو البعد الأهم، فالدولة العادلة التي تساوي بين الغني والفقير والشريف والوضيع أمام القضاء هي دولة يهونها أن تحقق قدرا عاليا من المواطنة.

على أن هذا الأمر لا يخفي من زاوية أخرى تلك العنصرية التي تنتشر بها دولة الاحتلال؛ ليس ضد مواطنيها من غير اليهود وحسب، بل أيضا ضد مواطنيها من اليهود الذين يصنفون درجة ثانية مثل انفارقتة، لكن ذلك يحدث على صعيد الههاسات اليومية، بينما يهون لكل متظلم أن يذهب إلى القضاء ويحصل على حقه.

القضاء هو ملاذ للناس، لكن منظومة الفساد لا تسمح بوجود قضاء نزيه، ولا شك أن القضاء في دولة الاحتلال يسجل قدرا عاليا من النزاهة، باستثناء موقفه من الفلسطيني بطبيعة الحال، مع أنهم حتى في هذا السياق يحاولون أن إخراج كل شيء بطريقة محكمة.

على أن الوجه الآخر للصورة التي نحن بصدها، وهي التي تعيننا بدرجة كبيرة، هو ذلك المهتمل في حقيقة أن المجتمع الصهيوني يتغير شكل لاقت.

إن تغيرات بنيوية تحدث في المجتمع الإسرائيلي، وهي تغيرات ههشت روح الهبدأية فيه، وحوّلته إلى مجتمع استهلاكي يركض خلف ملذاته، وها إن بعض أبنائه يستعيدون جنسياتهم الأوروبية، ويحسبون الأمر بهدى النفضية في العيش هنا أو هناك.

لقد تبدى ذلك جليا أيضا في الحروب الأخيرة، فالجندي الذي خاض الحروب الأخيرة في لبنان وغزة، ليس هو الجندي القديم، إذ كان جانا يحرص على الحياة بشكل جنوني، ويتهترس خلف الحديد ولا يتورط في أي مغامرة.

المجتمع الصهيوني يتغير، وهامش الهبدأ والالتهام يتراجع فيه بشكل جلي، وهذا يشير إلى أن منحناه قد أخذ في الهبوط، وأن هواجهتنا معه في الهراحل الهقبلة ستكون أسهل، حتى لو حاول جبر الفارق من خلال التفوق التكنولوجي.

إن انتفاضة شاهلة في الأرض الفلسطينية ستؤكد ذلك بكل وضوح، وهذا بالضبط ما يفسر استهامة العدو في إغلاق جويح النوافذ التي تؤدي إليها، وللأسف، فهناك أيضا من أبناء جلدتنا من يساعده في ذلك.

* ياسر الزعائرة كاتب صحفي اردني/ فلسطيني